213392 ـ المسلم التقي : أفضل ممن دونه في التقوى ، سواء ولد أحدهما على الإسلام ، أو لا !!

السؤال

هل صحيح بأن معتنقي الإسلام بشكل عام ، لهم ثواب وأجر أكبر عند الله سبحانه وتعالى من المسلمين الذين ولدوا على الإسلام أسوة بحادثة خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه ، مع القائد الروماني جرجه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

لا تلازم بين فضيلة الإنسان في نفسه ودينه ، وبين أن يكون قد ولد على الإسلام من أول الأمر ، أو أنه كان على غير دين الإسلام ، ثم أسلم ؛ وإنما الأصل المعوَّل عليه هنا قول الله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات/ 13 ؛ فمن كان أتقى لله ، وأطوع له ، وأعظم ائتماراً بأمره ، وانتهاءً عن نهيه : هو أفضل وأعظم منزلة عند الله ممن كان دونه في ذلك ، وسواء في ذلك أن يكون الاثنان قد ولدا على الإسلام ، أو لم يولدا عليه ، أو ولد أحدهما في الإسلام ، والآخر قد أسلم بعد أن لم يكن مسلماً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ مَنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَكْفُرْ قَطُّ ، أَفْضَلُ مِمَّنْ كَانَ كَافِرًا فَأَسْلَمَ : لَيْسَ بِصَوَابِ ؛ بَلْ الِاعْتِبَارُ بِالْعَاقِبَةِ ، وَأَيُّهُمَا كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ فِي عَاقِبَتِهِ : كَانَ أَفْضَلَ .

فَإِنَّهُ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ : هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَغَيْرِ أَوْلَادِهِمْ .

بَلْ مَنْ عَرَفَ الشَّرَّ وَذَاقَهُ ، ثُمَّ عَرَفَ الْخَيْرَ وَذَاقَهُ ، فَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ بِالْخَيْرِ وَمَحَبَّتُهُ لَهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالشَّرِّ وَبُغْضُهُ لَهُ : أَكْمَلَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَيَذُقْهُمَا كَمَا ذَاقَهُمَا ؛ بَلْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إلَّا الْخَيْرَ فَقَدْ يَأْتِيهِ الشَّرُّ فَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ شَرٌّ ، فَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُنْكِرَهُ كَمَا أَنْكَرَهُ الَّذِي عَرَفَهُ .

وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْجَاهِلِيَّةَ "

انتهى من "مجموع الفتاوى" (10/300-302) .

مع أن عاقلاً لا ينكر فضل أن يكون الإنسان على دين غير دين الإسلام ، ثم يترك ما كان عليه لله ، ويهجر أهله ووطنه ، وعاداته التي اعتادها ، ويدع ذلك كله لله ؛ فهذا قد تحقق له من عبودية الهجرة إلى الله ، والفرار إليه ، ومجاهدة نفسه في الله ، ما لم

يتحقق لغيره ممن ولد على الإسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" من اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب ، أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه : فهو مخالف ما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد كفرهم ، وهداهم الله به بعد ضلالهم ، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم : أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام .

وهل يُشَبِّه بني الأنصار بالأنصار، أو بني المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له ؟

وأين المنتقل بنفسه من السيئات إلى الحسنات ، بنظره واستدلاله ، وصبره واجتهاده ، ومفارقته عاداته ، ومعاداته لأوليائه ، وموالاته لأعدائه ، إلى آخر ، لم يحصل له مثل هذه الحال؟". انتهى من "منهاج السنة النبوية" (2/ 399) .

ثانياً :

خبر إسلام جرجة الرومي على يدي خالد بن الوليد رضي الله عنه : لا يصح إسناده ، ولا يحتج به .

فقد رواه الطبري في "تاريخه" (3/397) عن السَّرِيّ ، عَنْ شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بْنِ أُسَيْدٍ الْغَسَّانِيِّ ، عَنْ عُبَادَةَ وَخَالِدٍ ، قَالا: ... فذكر القصة مطولة ، وفيها :

" ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جرجه : يا خالد، أخبرني إلام تَدْعُونِي ؟

قَالَ : إِلَى شِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ ؟

قَالَ : فَالْجِزْيَةُ وَنَمْنَعُهُمْ .

قَالَ : فَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا ؟

قَالَ : نُؤْذِنْهُ بِحَرْبٍ ، ثُمَّ نُقَاتِلُهُ .

قَالَ : فَمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيكُمْ وَيُجِيبُكُمْ إِلَى هَذَا الأَمْرِ الْيَوْمَ؟

قَالَ : مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا ، وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جرجةُ : هَلْ لِمَنْ دَخَلَ فِيكُمُ الْيَوْمَ يَا خَالِدُ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ الأَجْرِ وَالذُّخْرِ ؟

قَالَ: نَعَمْ ، وَأَفْضَلُ .

قَالَ : وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ ؟

قَالَ: إِنَّا دَخَلْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ ، وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا صلى الله عليه وسلم وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ ويخبرنا بِالْكُتُبِ ، وَيُرِينَا الآيَاتِ ، وَحَقٌّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا ، أَنْ يُسْلِمَ وَيُبَايِعَ ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْحُجَجِ ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا ..." إلى آخر القصة .

وهذا الخبر : إسناده واه جدا :

ـ أبو عثمان يزيد بن أسيد لم نجد له ترجمة .

ـ سيف بن عمر متروك متهم ، قال ابن حبان : " اتهم بالزندقة ، يروى الموضوعات عن الأثبات " ، وقال الحاكم : " اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط " ، ينظر: "المجروحين" (1/345) ، " تهذيب التهذيب " (4/260) .

ـ شعيب ، وهو ابن إبراهيم الكوفي ، قال الذهبي : " راوية كتب سيف عنه ، فيه جهالة " .

انتهى من "ميزان الاعتدال" (2/ 275) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الإصابة" (1/ 633) في ترجمة جرجة :

" ذكر سيف بن عمر في الفتوح أنه أسلم على يدي خالد بن الوليد ، واستشهد باليرموك ، وذكر قصّته أبو حذيفة إسحاق بن بشر في الفتوح أيضاً ، لكن لم يسمّه " انتهى .

وإسحاق بن بشر هذا تالف ، قال الذهبي : " تركوه ، وكذبه علي بن المديني ، وقال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب ، وقال الدارقطني : كذاب متروك .

قلت ـ أي الحافظ الذهبي ـ : يروى العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري " .

انتهى من " ميزان الاعتدال " (1/184) .

وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله :

" على أن حاجة التاريخ إلى معرفة أحوال ناقلي الوقائع التاريخية ، أشد من حاجة الحديث إلى ذلك ؛ فإن الكذب والتساهل في التاريخ أكثر " انتهى من "علم الرجال وأهميته" (ص 24) .

وينظر للفائدة : جواب السؤال رقم : (83121) ، (201514) .

والله تعالى أعلم .